شُبُهاتُ النّافِينَ
أَشعَرِيَّةَ النَّوويّ رَحِمَه اللهُ
[عَرْضٌ ونَقْضٌ]

بقلم:

صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدِ الأَسْمَرِيِّ

النَّاشر

مَعهَد الشَّريعة للدّراساتِ والبُحوثِ



قال الإمام عبدالله بن علوي الحداد رضي الله عنه في: «نيل المرام شرح عقيدة الإسلام» (ص/ ٨):

﴿اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ اَلْأَشَاعِرَةِ فِي اَلِاعْتِقَادِ= هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ جَمَاهِيرُ أُمَّةِ اَلْإِسْلَامِ عُلَمَاؤُهَا ودَهْمَاؤُهَا؛ إِذْ اَلْمُنْتَسِبُونَ إِلَيْهِمْ، وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَهُمْ= كَانُوا أَئِمَّةَ أَهْلِ اَلْعُلُومِ قَاطِبَةً عَلَى مَرِّ اَلْأَيَّامِ وَالسِّنِينَ، وَهُمْ أَئِمَّةُ عِلْمِ اَلتَّوْحِيدِ وَالْكَلَامِ، وَالتَّفْسِيرِ وَالْقِرَاءَةِ، وَالْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَالْحَدِيثِ وَفُنُونِهِ، وَالتَّصَوُّفِ وَاللُّغَةِ وَالتَّارِيخِ﴾ اهـ.





قال التَّقِيُّ السُّبْكِيُّ (ت/ ٧٥٦ هـ) رحمه الله:

﴿ما اجتَمَع بعد التّابعِين المَجموعُ الذي اجتَمَع في النَّووي، ولا التَّيسير الذي يُسِّر له﴾ [التّوشيح- للتاج السُّبْكي. عن: «بُغية الرّاوي (ص/ ٢٨) لابن إِمام الكامِلِيَّة]



شبهات النافين أشعرية

النووي رحمه الله

[عرض ونقض]

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ، والصلاةُ والسّلامُ على رسول الله، وعلى آله وصَحبه ومَن والاه

أَمَّا بَعْدُ:

فقد زَعَمَ أُناسٌ مِن (التَّيميِّين) المُعاصِرين=

(١) بأَنّ الإمام (النَّووي) رحمه الله ليسَ مِن أَهلِ السُّنَّة (الأَشاعِرَة)، وإِنْ وافقَهُم في آراءَ عُرِفوا بها[١] كما في نَحو: «الدلائل الوفية في تحقيق عقيدة الإمام النووي أسلفية أم خلفية» لَمشهور آل سَلْمان... وتَراها هُنا:

(١) وجازَف بعضُهم برُجوعِه لمُعتَقَد السَّلَف المُزكَّى عندَهم، مستَدِلّين بوِجادَةٍ تُنسَب للنَّووي رحمه الله، وهي جُزءٌ في «الصَّوت والحَرف لكلام مَولانا جَلَّ وعَزَّ»، مع كون التَّصريح فيها -لمّا سِيق أَكثَرُه المُستَشهَد به- بأَنّها للأَرموي، حيث جاءَ فيها (ص/٦٩) ما نَصُّه: "وهذا الذي ذكرناه جَميعُه مِن كلام الشيخ أبي العباس الأرموي" انتهى.

https://www.alalbany.org/library/book/8903

وقد عرَّف العِماد ابنُ كثيرٍ رحمه الله بأَبي إِسحاق الأَرموي رحمه الله في: «البداية والنِّهاية» (١٣/٣٩٢) ... كما تَراه هُنا:

https://www.osrah.sa/8PNrHE

هذا و(الجُزء) المَنشُور= يَتَّفِق مع مذهب السَّالِميَّة البِدْعي في مسألة (الكلام) والذي نَقَدَه ورَدَّه التّقي ابن تيمية نفسُه رحمه الله في نَحو ما هُنا:

https://www.osrah.sa/K8k2Hs
https://quranpedia.net/fatwa/2552

ثُمَّ إِنّه لا ذِكْرَ لهذا الجُزء المُدَّعى في تراجِم العُلماء للنّووي رحمه الله... وقد أَفرَدَها جماعة... كالعلاء ابن العطَّار (المتوفى ٧٢٤ هـ) -وهو "عُمدة كل مَن أتى بعده" [المَنهَل العَذب» (ص/٥٩=المزيدي) للسخاوي]-، والتّقي اللّخمي (ت/٧٣٨ هـ)، والكمال ابن إمام الكامليَّة (ت/٨٧٤ هـ)، والجلال السُّيوطي (ت/٩١١ هـ)، والشَّمس السَّخاوي (ت/ ٩٠٢ هـ) رحمهم الله أجمعين... والعِنايةُ بكتُبِه مَشهورة، وذَكَرَ السِّراج ابن الملقِّن (ت/ ٨٠٤ =

https://www.osrah.sa/ysrRsH

(٢) وأَنّ: "الإمام النووي انطلق فيما صار إليه في الأسماء والصفات مِن وجوهٍ مُختَلِفة في فهم النصِّ أدَّى إلى القول بالتفويض أو التأويل، وخاصة في الصفات الخبرية، كالنزول، والفرح، والغضب، ونحوها، ولم يَستَقرَّ فيما ذهب إليه على قواعد مُطَّردة، وإنّما تَبِع فيه غيرَه ...". [«الردود والتعقيبات على ما وقع للإمام النووي في شرح لصحيح مسلم من التأويل في الصفات وغيرها من المسائل المهمات» (ص/) لمَشهُور آل سَلْمان]

https://www.osrah.sa/3bAJ3X

ونُتقَضُ هذه الدَّعوى مِن جِهتَين:

الأُولى: بتَقرير كَونِ النَّووي رحمه الله قد لَزِمَ "مُتابعةَ السّالِفِين مِن أهل السُّنَّة والجماعة". [طَبقات الشّافعية (/) للتاج السُّبكي]، وقد "صرَّح اليافعيُّ والتّاجُ السُّبكيُّ _ رحمهما الله _ أنَّ [النَّووي] أَشعريٌّ". [«المَنْهَلُ العَذْبُ الرَّوِيُّ في

=هـ) في: «عمدة المحتاج إلى شرح المنهاج» (١/ ٢٢٩-٢٣٤) = (انكباب النَّاس على كتابة مصنَّفاته التَّامَّة وغير التَّامَّة، حتَّى مختصره لـ «التَّنبيه» الذي كَتَبَ منه ورقة).

وقد تَكلَّموا على ما نُسِب إليه، ولم يُشيروا لهذا الجُزء المَزعوم أَلْبتَّة، كقول الجمال الإسنوي (ت/ ٧٧٢ هـ) رحمه الله في: «المهمَّات» (١/ ٩٨-٩٩): "ويُنسب إليه تصنيفان لَيسا له: أحدهما: مختصرٌ لطيفٌ يُسمَّى: «النِّهاية في الاختصار للغاية» ..."

تَرْجمة قُطْب الأَولياء النَّوَوِيّ» (ص/٣٦) للشمس السَّخاوي] في آخَرين مِن العلماء الثِّقاتِ[١].

---

(١) ولسْنا بحاجةٍ -هُنا- أَنْ نَستَشهِد بقولٍ للشّمسِ الذَّهبيّ رحمه الله في: «تاريخ الإِسلام» (/) تُنوزِع في ثُبوته عنه، مع تَعَصُّبِه المَعرُوف كما قرَّره التّاج السُّبْكيّ رحمه الله في: «طَبَقات الشّافعيَّة»(٢ / ٢٢) بقولِه:

"وأما «تاريخ شيخنا الذهبي» فإنه على حُسنه وجَمْعه مَشحون بالتَّعصُّب بالتَّفريط - لا وَاخَذَه اللهُ -، فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدِّين - أعني الفقراء الذين هم صَفْوَة الخَلْق -، واستطال بلسانه على كثير مِن أئمة الشافعيين والحنفيين، ومال فأَفرَط على الأشاعرة، ومدح فزاد في المجسمة، هذا وهو والحافظ الدَّرِهُ والإمام المُبجَّل، فما ظَنُّكَ بعوامِّ المُؤرِّخِين".

والتّاجُ السُّبْكيّ رحمه الله قد نَعتَ النَّوويّ رحمه الله بأَنّه (أَشعَريّ العقيدة) في كتابه المُختَصّ بـ «طبقاتِ الشّافعيَّة» (١/١٣٢). ومَقالة الذَّهبي المُشار إليها ورَدَتْ في نَشرةٍ لكتاب: «تاريخ الإِسلام» (١٥/٣٣٢= بشار) ونَصُّها: "ولا يحتمل كتابنا أكثر ممّا ذكرنا من سيرة هَذَا السَّيّد -يعني: النووي- رحمة اللّه عليه، وكان مذهبه فِي الصّفات السّمعية السّكوت وإمرارها كما جاءت، وربّما تأوَّل قليلاً فِي شرح مسلم. والنووي رجل أشعري العقيدة معروف بذلك، يبدّع من خالفه ويبالغ في التغليظ عليه".

وقد عَقَّب المُحقِّق بشّار عوّاد لـ «تاريخ الذهبي» فقال عمّا تَحتَه خطٌّ: "هذه الفِقرَة= كتَبَها المُصنِّف بأَخَرَةٍ" انتهى.؛ لذا لم يَذكرْها الشَّمسُ السَّخاوي رحمه الله في: «ترجمة النّووي» (ص/٣٦) ند حِكايتِه لَمقالة الذَّهبي(!)، وكذا فعل ابنُ إِمام الكامِلِيَّة رحمه الله في: «بُغْيَة الرَّاوي»(ص/٣٦)، بَل عزاها البدر البشتكي (ت/ ٨٣٠ هـ) رحمه الله إلى التّاج السُّبْكيّ -كما في نُسختِه لـ«تاريخ الذهبي»-.

https://t.me/c/1139532879/3938

ومِن دلائلِه: أنّ النّووي رحمه الله كان يُدرِّس في (دار الحديث الأَشرفيّة) وولي مَشيَختَها[1]، وشَرْطُ واقِفِها أنْ يَلِيَها مَن هو في المُعتَقَد على مِثلِ ما علَيه الإِمام أبو الحسَن الأَشعري رضي الله عنه.

https://2u.pw/VWSCA

الثانية: بإِبطالِ مُتمَسَّك المُخالِف في أَشعريَّة النَّووي رحمه الله، ومَرجِعها لشيئين:

الأول: مُنافَرَة النَّووي رحمه الله لـ(علم الكلامِ) وما إليه، مع إيثارِه للحديث ومَسلَك السَّلف الصالِح، حتى "أَثْنَى عَلَيْهِ الْمُوَافِقُ وَالمُخَالِفُ، وَقَبِلَ كَلَامَهُ النَّائِي وَالآلِفُ، وَشَاعَ ثَنَاؤُهُ الحَسَنُ بَيْنَ المَذَاهِبِ". [ترجمة النووي (ص/) للسُّيوطي]، وإِنْ "كان حافظًا للمذهب الشافعي وقواعده وأصوله وفروعه، ومذاهب الصحابة والتابعين، واختلاف العلماء ووفاقهم وإجماعهم، وما اشتهر من ذلك جميعه وما هجر= [فإنّه كان] سالكًا في كلها طريقة السلف". [تُحفة الطالِبين (ص/) لابن العَطّار]

لذا بَجَّلَه نَحو الذَّهبي وابن كثير رحمهما الله، ففي «تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٧٤): "النواوي الإمام الحافظ الأوحد القدوة شيخ الإسلام علم الأولياء، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي، صاحب التصانيف النافعة"، وفي: «البداية والنهاية» (١٧/ ٥٠): "الْعَالِم مُحْيِي

---

(١) وأَثبَتَه مُتَرجِموه، قال السّخاوي رحمه الله في: «المَنهَل العَذب الرَّوِيّ» (ص/ ٢١): "وولي -رحمه الله- مِن الوظائف الدينية: مشيخة (دار الحديث الأشرفية). قال الذهبي: (مع صغر سنّه ونزول روايته، في حياة مشايخه، بعد الإمام أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان، سنة خمس وستين وستمائة، إلى أن مات)، انتهى كلام الذهبي".

الدِّينِ أَبُو زَكَرِيَّا النَّوَوِيُّ ثُمَّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ الْعَلَّامَةُ شَيْخُ الْمَذْهَبِ، وَكَبِيرُ الْفُقَهَاءِ فِي زَمَانِهِ... وَقَدْ كَانَ مِنَ الزَّهَادَةِ وَالْعِبَادَةِ وَالْوَرَعِ وَالتَّحَرِّي وَالِانْجِمَاعِ عَنِ النَّاسِ عَلَى جَانِبٍ كَبِيرٍ، لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ غَيْرُهُ".

إلّا أنّه لا مُتَمَسَّكَ لهم في ذلكَ؛ لأنّه لا تَنافيَ بينها وبين «المُعتَقَد الأَشعَري»، وشُهرَة أَشعريَّة أئمَّة في الحديث تَكفي في بَيانِه، كيفَ وقد قال ابنُ عساكر رحمه الله في: «تَبيين كَذب المُفتَري» (ص/٤٠٧= الشرفاوي):

"أكْثر الْعلمَاء فِي جَمِيع الأقطار عَلَيْهِ وأئمة الْأَمْصَار فِي سَائِر الْأَعْصَار يدعونَ إِلَيْهِ ومنتحلوه هم الَّذين عَلَيْهِم مدَار الْأَحْكَام وإليهم يرجع فِي معرفَة الْحَلَال وَالْحرَام وهم الَّذين يفتون النّاس فِي صعاب الْمسَائِل ويعتمد عَلَيْهِم الْخلق فِي إِيضَاح المشكلات والنوازل وَهل من الْفُقَهَاء من الحنفية والمالكية وَالشّافِعِيّة إِلَّا مُوَافق لَهُ أَو منتسب إِلَيْهِ أَو رَاض بحميد سَعْيه فِي دين اللَّه أَو مثن بِكَثْرَة الْعلم عَلَيْهِ غير شرذمة يسيرَة تضمر التَّشْبِيه وتعادي كل موحد يعْتَقد التَّنْزِيه وتضاهي أَقْوَال أهل الاعتزال فِي ذمه وتباهي بِإِظْهَار جهلها بقدرة سَعَة علمه" انتهى.

ثُمَّ مَحمَل مَنع النووي رحمه الله مِن المَنطِق= "على ما كان في زمنه من خلْطٍ كثيرٍ من كُتُبه بالقوانين الفلسفيَّة المُنابذة للشَّرائع بخلاف الموجود اليوم، فإنَّه ليس فيه شيءٌ من ذلك ولا ممَّا يُؤدِّي إليه، فكان مُحترمًا، بل فرض كفايةٍ، بل فرض عينٍ إن وقعَت شُبهةٌ لا يُتخلَّصُ منها إلَّا بمعرفته" [حواشي الشّرواني على شرح المنهاج (/)[١].

---

(١) وما يُحكَى مِن واقعةٍ في نَحو: «المَنهَل العَذب الرَّوي» (ص/١٢٥) أَنّ النَّووي رحمه الله نَصَح الشِّهابَ الإِربِديّ رحمه الله بأنْ لا يَقرأ (المُقدِّمة المَنطِقيَّة) مِن كتاب: «مُختَصَر ابن الحاجِب»= لا تُخالِف ذلكَ، بل هو مِن باب:

إذَا لَمْ تَستَطِعْ شيئًا فدَعْهُ   وجاوِزْهُ إلى مَا تَستَطِيعُ =

وأما ذمُّ الأَئمّة كالشّافعي رضي الله عنه لـ (علم الكلام) فمحمله: الباطل؛ لذا قال البيهقي رحمه الله في: «مناقب الشافعي» (١/ ٤٥٤): "إنما أراد الشافعي رحمه الله بهذا الكلام حفصاً وأمثاله مِن أهل البدع، وهذا مراده بكل ما حُكي عنه في ذم الكلام وذم أهله، غير أنّ بعض الرُّواة أَطلقه وبعضَهم قيّده، وفي تقييد مَنْ قَيّده دليل على مُراده... وإنما يَعني - والله أعلم - كلام أهل الأهواء الذين تركوا الكتاب والسنة، وجعلوا مُعَوّلهم عقولهم، وأخذوا في تَسْوِية الكتاب عليها. وحين حُمِلتْ إليهم السُّنَّة بزيادة بيان لنقض أقاويلهم= اتهموا رواتها وأعرضوا عنها. فأما أهل السنة فمذهبهم في الأصول مبني على الكتاب والسنة، وإنما أُخِذَ ما أُخِذَ منهم في العقل إبطالاً لمذهب مَن زعم أنه غير مستقيم على العقل" ا. هـ المراد[١].

الثاني: تَقريراتٌ للنَّووي رحمه الله فُهِم مِنها مُخالَفَة (المُعتَقَد الأَشعري)، والأَصْلُ أَنَّهُ: "لَا يَنْبَغِي أَنْ يُحمَلَ كَلَامُ [المَرْءِ] عَلَى غَيْرِ مَا تُعَوِّدَ مِنْهُ" [قَاعِدَة الجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ (ص/ ٩٣) لِلتَّاجِ السُّبْكيّ].

=لأَنّها مِن: «المَبادِيء»، وأَنتَ خَبيرٌ أَنَّ "المبادِيء عند الأُصوليين هو: ما يُبدأ به قبل الشُّروع في المسائل لتَوقّفها عليه، أو لتَوقُّف تَصوُّر العلم أو غايته أو استمداده عليه. وهي بهذا المعنى بتمامها لا تكون مِن أجزاء العلم". [كتاب الردود والنقود (١/ ٩٢) للبابرتي].

(١) وجاء في: «شرح النووي على صحيح مسلم» ما نَصُّه: «قول النبي: «وكل بدعة ضلالة» هذا عام مخصوص، والمراد غالب البدع، قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة، ومحرمة، ومكروهة، ومباحة، فمن الواجبة نظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك،..." .

http://islamport.com/w/srh/Web/2742/1330.htm

فمِنها: أن أول واجب هو الإقرار بالشهادتين عند النووي رحمه الله، وليس المَعرِفة وما إِليها كما عليه المُتكلِّمون كالأَشاعِرة؛ ففي: «شرح النووي على مسلم» (١/ ٢١٠-٢١١) ما نَصُّه:

"قوله صلَّى الله عليه وسلَّم في الرواية الأخرى: «أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به» فيه بيان ما اختصر في الروايات الأخر من الاقتصار على قول لا إله إلا الله، وقد تقدم بيان هذا، وفيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف أن الإنسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافًا لمن أوجب ذلك وجعله شرطًا في كونه من أهل القبلة، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين إلا به، وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين، وهو خطأ ظاهر" انتهى.

لكنْ يُقال: "النَّظر واجب شرعًا، قال ابن القُشيري: بالإِجماع؛ لأنَّ الإجماع قام على وجوب معرفة الله، ولا تَحصل إلا بالنَّظر، وما لا يَتمّ الواجب إلا به فهو واجب". ["البحر المحيط" (/) للبَدر الزَّرْكشي].

ثُمّ إِنّه "يَكفي إِيمانُ المُقلِّد عند الأَشعري وغيرِه، خلافًا لأَبي هاشِمٍ [المُعتَزلي] في قَولِه: لا يَكفِي، ولا بُدَّ لِصِحَّةِ الإِيمانِ مِن النَّظَر". [حاشية «شرح جَمْع الجوامِع» (٤/ ٣٨٧) لابن عبّاد].

هذا "والخلافُ في إِيمان المُقلِّد= إِنّما هو بالنَّظر لأَحكام الآخِرة وفيما عند الله، وأَما بالنَّظر لأَحكام الدُّنيا= فيكفي فيها الإِقرار فقط، فمَن أَقرَّ جرَتْ عليه الأَحكامُ الإِسلاميةُ ولم يُحكَم عليه بالكُفر، إِلا إِنْ اقتَرَن بشيءٍ يَقتَضِي الكُفر كالسُّجود لصَنَمٍ". [«حاشية البَيجوري على جَوهَر التّوحِيد» (ص/ ٨٠)].

و"المُرَادُ بِـ (الدَّلِيلِ) الَّذِي تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى جَمِيعِ المُكَلَّفِينَ هُوَ (الدَّلِيلُ الجُمْلِيُّ) وَهُوَ الَّذِي يُحَصِّلُ فِي الجُمْلَةِ لِلمُكَلَّفِ العِلْمَ وَالطُّمَأْنِينَةَ بِعَقَائِدِ الإِيمَانِ، بحيث لا يَقُولُ قَلْبُهِ فِيهَا: (لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ).

وَلَا يُشْتَرَطُ مَعْرِفَةُ النَّظَرِ عَلَى طَرِيقِ المُتَكَلِّمِينَ مِنْ تَحْرِيرِ الأَدِلَّةِ وَتَرْتِيبِهَا وَدَفْعِ الشُّبَهِ الوَارِدَةِ عَلَيْهَا، وَلَا يُشْتَرَطُ القُدْرَةُ عَلَى التَّعْبِيرِ عَمَّا حَصَلَ فِي القَلْبِ مِنْ الدَّلِيلِ الجُمْلِيِّ الَّذِي حَصَلَتْ بِهِ الطُّمَأْنِينَةُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّظَرَ [كَدَلِيلٍ] عَلَى هَذَا الوَجْهِ غَيْرُ بَعِيدٍ حُصُولُهُ لِمُعْظَمِ [عوامِّ] هَذِهِ الأُمَّةِ أَوْ لِجَمِيعِهَا، فِيمَا قَبْلَ آخِرِ الزَّمَانِ الَّذِي يُرْفَعُ فِيهِ العِلْمُ النَّافِعُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الجَهْلُ المُضِرُّ، وَلَا يَبْقَى فِيهِ التَّقْلِيدُ المُطَابِقُ، فَضْلًا عَنْ المَعْرِفَةِ عِنْدَ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُظَنُّ بِهِ العِلْمُ، فَضْلًا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ العَامَّةِ" [شرح الصغرى (ص/٨٨) للسَّنُوسِيِّ].

ومِنها: إدخالُ النَّووي رحمه الله (العمَل) في (مُسمَّى الإِيمان)، ورَدُّه (الإِرجاء)،خلاف حقيقة «مُعتَقد الأَشاعرة» بزعمِ المُخالِف، فقد قال في: « شرح صحيح مسلم» (١/١٤٧): "فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة: التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح؛ وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أنه لو أقر وعمل على غير علم منه ومعرفة بربه لا يستحق اسم مؤمن، ولو عرفه وعمل وجحد بلسانه وكذب ما عرف من التوحيد لا يستحق اسم مؤمن، وكذلك إذا أقر بالله تعالى وبرسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولم يعمل بالفرائض لا يسمى مؤمنًا بالإطلاق، وإن كان في كلام العرب يسمى مؤمنًا بالتصديق فذلك غير مستحق في كلام الله تعالى؛ لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ فأخبرنا سبحانه وتعالى أن المؤمن من كانت هذه صفته".

وقال في: «شرح الجامع الصحيح» (ص/٤٥٤): "أراد البخاري في: «صحيحه» بالأبواب الآتية بعد هذا، كقوله: (باب: أمور الإيمان. باب: الصلاة من الإيمان. باب: الزكاة من الإيمان. باب: الجهاد من الإيمان)، وسائر أبوابه.

وأراد الردَّ على المرجئة في قولهم الفاسد: (إن الإيمان قول بلا عمل). وبيَّن غلطَهم وسوءَ اعتقادهم، ومُخالفتَهم الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة".

ولكنْ يُقال: العمل داخِلٌ في مُسمَّى (الإيمان) عند أَهل السُّنّة الأَشاعرة، وهو شَرْطُ كمالٍ فيه، قال البَيجوري رحمه الله في: «حاشية جوَهرة التّوحيد»(ص/): "(العمل) شرط كمال على المختار عند أهل السنة، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال، ومن تركه فهو مؤمن لكنه قد فوّت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته، وإلا فهو كافر فيما عُلِمَ من الدين بالضرورة، وذهبت المعتزلة إلى أن العمل شطر من الإيمان لأنهم يقولون: بأنه العمل والنطق والاعتقاد فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان وهو العمل ولا كافر لوجود التصديق فهو عندهم في منزلة بين المنزلتين ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر، والخوارج يكفرون مرتكب الكبائر". انتهى.

و"السلف قالوا هو اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالأركان، وأرادوا بذلك أن الأعمال شرط في كماله، ومن هنا نشأ لهم القول بالزيادة والنقصان ... والفارق بين [المُعتزلة] وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً في كماله". [فتح الباري (١/٤٦) لابن حجر العسقلاني].

ومِنها: إِثباتُ كون اللهِ قد كلَّم نبيَّه موسى عليه السّلام حقيقةً بحيثُ سمعَه موسى بلا وَسيطٍ، وهذا على خلافِ قول الأَشاعرة القائلين بالكلام النفسي، جاء في: «شرح النووي على مسلم» (٣/٥٧) ما نَصُّه: " قوله صلَّى الله عليه وسلَّم في موسى صلَّى الله عليه وسلَّم: «الذي كلمه الله تكليمًا» هذا بإجماع أهل السنة على ظاهره، وأن الله تعالى كلم موسى حقيقة كلامًا سمعه بغير واسطة، ولهذا أكد بالمصدر، والكلام صفة ثابتة لله تعالى لا يشبه كلام غيره" انتهى.

لكنْ يُبيِّن ذلكَ تَفسير الآي، قال ابنُ عَطِيَّة الأَندَلُسِيّ رحمه الله:

"وَقَوْلُهُ تَعالى: ﴿ "وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا" ﴾ إخْبارٌ بِخاصَّةِ مُوسى؛ وأنَّ اللّهَ تَعالى شَرَّفَهُ بِكَلامِهِ؛ ثُمَّ أكَّدَ تَعالى الفِعْلَ بِالمَصْدَرِ؛ وذَلِكَ مُنْبِئٌ في الأغْلَبِ عن تَحْقِيقِ الفِعْلِ؛ ووُقُوعِهِ؛ وأنَّهُ خارِجٌ عن وُجُوهِ المَجازِ؛ والِاسْتِعارَةِ؛... وكَلامُ اللَّهِ لِلنَّبِيِّ مُوسى - عَلَيْهِ السَلامُ - دُونَ تَكْيِيفٍ؛ ولا تَحْدِيدٍ؛ ولا تَجْوِيزِ حُدُوثٍ؛ ولا حُرُوفٍ؛ ولا أصْواتٍ؛ والَّذِي عَلَيْهِ الراسِخُونَ في العِلْمِ أنَّ الكَلامَ هو المَعْنى القائِمُ في النَفْسِ؛ ويَخْلُقُ اللهُ لِمُوسى أو جِبْرِيلَ إدْراكًا مِن جِهَةِ السَمْعِ؛ يُتَحَصَّلُ بِهِ الكَلامُ؛ وكَما أنَّ اللهَ تَعالى مَوْجُودٌ لا كالمَوْجُوداتِ؛ مَعْلُومٌ لا كالمَعْلُوماتِ؛ فَكَذَلِكَ كَلامُهُ لا كالكَلامِ".

https://2u.pw/bQSbP

ومِنها: أَنّ في كلامِ النَّووي رحمه الله إِقرارًا بأَنّ اللّهَ في جِهةِ العُلُوِّ، ففي: «روضة الطالبين وعمدة المفتين» (١٠/٨٥) قال: "لو قال: لا إله إلا الله الملك الذي في السماء، أو إلا ملك السماء، كان مؤمنًا، قال الله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾. ولو قال: لا إله إلا ساكن السماء، لم يكن مؤمنًا، وكذا لو قال: لا إله إلا الله ساكن السماء؛ لأن السكون محال على الله تعالى" انتهى.

لكنّ هذا فيه تَحميلُ الكلامِ ما لا يَحتَمِل، لا سِيَّما وقد قال النَّووي رحمه الله في: «روضة الطالبين» (١٠/ ٦٤): "أَوْ أَثْبَتَ مَا هُوَ مَنْفِيٌّ عَنْهُ بِالْإِجْمَاعِ، كَالْأَلْوَانِ، أَوْ أَثْبَتَ لَهُ الِاتِّصَالَ وَالِانْفِصَالَ= كَانَ كَافِرًا" انتهى المراد[١].

ومِنها: أنّه لم يُوافِق «مُعتَقَد الأَشاعِرة» في تَأويل «الصّفاتِ السَّمْعيَّة» على ما هو مَشهُورٌ عنهم، وإنْ أَوَّل على قِلَّةٍ مُتابَعَةً لغَيره، وفي ذلك يَقول الشّمس الذَّهبي رحمه الله في: «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٣٣٢= بشار): "وكان مذهب [النّووي] فِي الصّفات السّمعية السّكوت وإمرارها كما جاءت، وربّما تأوَّل قليلًا فِي: «شرح مسلم»" انتهى.

ولكنّ هذا فيه افتِآتٌ عمّا قرَّره النّووي رحمه الله في شرح أَحاديث ما يُسمَّى بـ (الصّفات الخبريّة)، وتَعقَّب الذّهبيَّ السّخاويُّ رحمه الله في: «المَنهَل» (ص/ ٣٢) بقولِه: "كذا قال! والتّأويل كثيرٌ في كلامِه" انتهى. وبَيانُه بنموذَجٍ كقوله في: «شرح صحيح مُسلِم» مُعلِّقًا على خبر: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْبِضُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، وَالْمَخْلُوقَاتِ بِالْأَصابِعِ):

"هَذَا مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ فِيهَا الْمَذْهَبَانِ: التَّأْوِيلُ وَالْإِمْسَاكُ عَنْهُ، مَعَ الْإِيمَانِ بِهَا، مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ الظَّاهِرَ مِنْهَا غَيْرَ مُرَادٍ، فَعَلَى قَوْلِ الْمُتَأَوِّلِينَ يَتَأَوَّلُونَ الْأَصَابِعَ هُنَا عَلَى الِاقْتِدَارِ أَيْ: خَلَقَهَا مَعَ عِظَمِهَا بِلَا تَعَبٍ وَلَا مَلَلٍ، وَالنَّاسُ يَذْكُرُونَ الْإِصْبَعَ فِي مِثْلِ هَذَا لِلْمُبَالَغَةِ وَالِاحْتِقَارِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: بِأُصْبُعِي أَقْتُلُ زَيْدًا، أَيْ: لَا كُلْفَةَ عَلَيَّ فِي قَتْلِهِ، وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَصَابِعَ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا غَيْرُ مُمْتَنِعٍ، وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ يَدَ الْجَارِحَةِ مُسْتَحِيلَةٌ".

---

(١) وفي: «حاشية البَيجوري على الجَوهرة» (ص/ ٢٨٤) قال: "واعلم أنّ معتقد الجهة لا يَكفر كما قاله العِزُّ بن عبد السلام، وقيَّده النّووي بكونه مِن العامَّة...".

وأَنتَ خبيرٌ أَنّ هذا مُتَّفقٌ مع «مُعتَقَد الأَشاعِرة» في (الصّفات الخبرية)، والذي قال عنه البُرهان اللَّقانيّ رحمه الله في: «الجوهرة»:

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيها   أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ، وَرُمْ تَنْزِيها

ومِمّا سبَق يَتَجلَّى للمُنصِف بُطلانُ نَفي (الأَشعريَّة) عن الإمام النَّووي رحمه الله، وأَنّه سائرٌ على مَسلَكِ (الإمام أَبي الحَسن الأَشعري رضي الله عنه)، والذي قال عنه في: «بستان العارفين» (ص/): "ومِن المشهودين بكثرة التصنيف إمامنا الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي والإمام أبو الحسن الأشعري رضي الله تعالى عنهما، وقد عدَّد الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى مُصنَّفات الشافعي، وعدَّد الإمام حافظ الشام بل حافظ الدنيا أبو القاسم المعروف بابن عساكر رضي الله تعالى عنه في كتابه: «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري» = تصانيف الأشعري أنها نحو ثلثمائة تصنيف" انتهى[(١)].

مع كَونِه يُحيلُ على مُقرَّراتِ مُتكلِّمِي الأَشاعِرة مُقِرًّا مُثْنِيًا، ففي: «شرح النووي على صحيح مسلم» (١/٥٥) ما نَصُّه: "قُلْتُ: وَقَدْ تَظَاهَرَتِ الْأَدِلَّةُ الْقَطْعِيّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وِالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ= عَلَى إِثْبَاتِ قَدَرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ

---

(١) وحكَى التّقيّ ابنُ تَيميَّة رحمه الله وُقوفَه على نُسخةٍ مِن كتاب: «تَبيين كذب المُفتَري» بخَطِّ النّووي رحمه الله، ففي: «مجموع الفتاوي» (٣/٢٢٣-٢٢٥) ما نَصُّه:

"ولما اجتمعنا بدمشق وأحضر فيما أحضر كتب أبي الحسن الأشعري: مثل "المقالات" و"الإبانة" وأئمة أصحابه كالقاضي أبي بكر وابن فورك والبيهقي وغيرهم. وأحضر كتاب "الإبانة" وما ذكر ابن عساكر في كتاب "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري" وقد نقله بخطه أبو زكريا النووي...".

التّصْنِيفِ فِيهِ، وَمِنْ أَحْسَنِ الْمُصَنّفَاتِ فِيهِ، وَأَكْثَرِهَا فَوَائِدَ= كِتَابُ الْحَافِظِ الْفَقِيهِ أَبِي بَكْرٍ الْبَيْهَقِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَدْ قَرّرَ أَئِمّتُنَا مِنَ الْمُتَكَلّمِينَ ذَلِكَ أَحْسَنَ تَقْرِيرٍ بِدَلَائِلِهِمُ الْقَطْعِيّةِ السّمْعِيّةِ وَالْعَقْلِيّةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

فرحم الله " الشيخ الإمام، والصدِّيق الهمام، ولي اللَّه تعالى بلا نزاع، ومحرر مذهب الإمام الشافعي بلا دفاع، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النواوي، قدس اللَّه تعالى روحه، ونوَّر ضريحه". [مُقدِّمة: «الفَتْح المُبين» (ص/٦٧) لابن حجر الهيتمي].

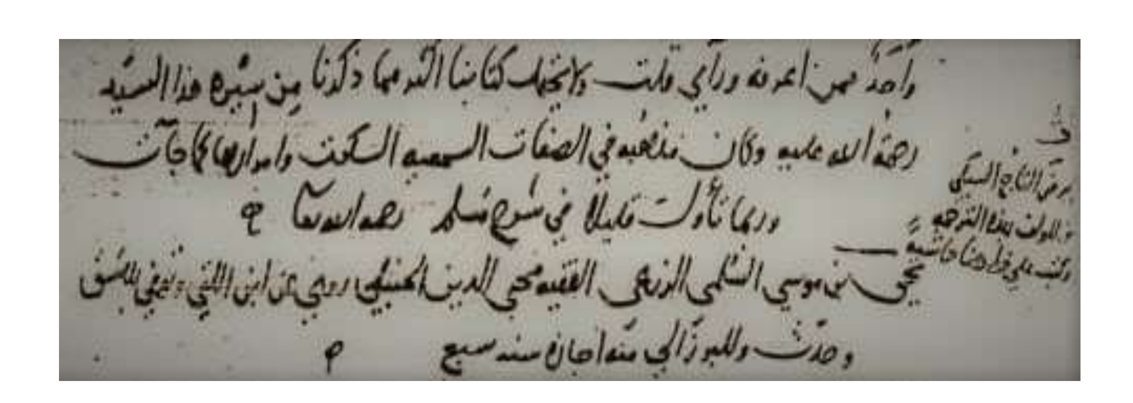
وبهذا القَدر كفاية، لِمَن رام الهداية، والله الهادِي، لا رَبَّ سِواه، وصلى الله وسلَّم على سيِّدنا محمد وآله وصحبه أَجمعين ﷺ


ملحق

بطول وترك جميع الجهات الدنيوية ولم يكن يتناول من جهة من
الجهات درهماً فرداً وحكى لنا الشيخ أبو الحسن بن العطار أن الشيخ
قلع ثوبه فغلاه بعض الطلبة وكان رثه فمثل فيه ... وقال دعه
قلت وكان في ملبسه مثل آحاد الفقهاء الفقراء من حوارنة لا
يؤبه به عليه شبختانة صغيرة ولحيته سوداء فيها شعرات
بيض وعليه هيبة وسكينة وكذلك لا تعاني لغط الفقهاء وعياطهم
في البحث بل يتكلم بتؤدة وسمت ووقار وقد رآه غير واحد
يدعون عشرين نفساً ما أكثر من ثم ماته بيت منهم محيي الدين الطهر(?)
وقاضي القضاة نجم الدين المصري ومجد الدين المهنار(?) وعلاء الدين الكندي
الكاتب والعفيف التلمساني الشاعر وأراد أقاربه أن يبنوا عليه
قبة فرأته عمته أو قرابة له في النوم فقال لها قولي لهم لا يفعلوا هذا
الذي قد عزموا عليه فإنهم كلما بنوا شيئاً هدم عليهم فتعهدت منزعجة
وحدثتهم فحوطوا على قبره حجارة ترد الدواب قال أبو الحسن
وقال لي جماعة عن شيوخ أنهم سألوه يوماً أن لا ينساهم في عرصات
القيامة فقال لهم إن كان ثم جاه والله لا دخلت الجنة وأحد ممن
أعرفه ورائي قلت ولا يحمل قلبنا الآن ما ذكرنا من سيرة
هذا السيد رحمة الله عليه وكان مذهبه في الصفات السمعية
السكوت وإمرارها كما جاءت وربما تأول قليلاً في شرح مسلم

[illegible]

صورةٌ مِن تَرجمة النّووي رحمه الله في مَخطوطةٍ: «تاريخ الإِسلام» للشّمس الذَّهَبي رحمه الله [بخطِّ الذَّهبي]



واحد ممن أعرفه ورأي قلت وبالجملة كتابنا أكثر مما ذكرنا من سيره هذا السيد
رحمة الله عليه وكان مذهبه في الصفات السمعية السكوت وإمرارها كما جاءت
وربما تأول قليلاً في شرح مسلم رحمه الله تعالى
يحيى بن موسى الشلمي الزرعي الفقيه محي الدين الحنبلي روى عن ابن اللتي وتوفي بدمشق
وحدث وللبرزالي منه إجازة سنة سبع

التاج السبكي ... المؤلف بهذه الترجمة وكتب على قوله هنا حاشية

صورةٌ مِن تَرجمة النّووي رحمه لله في مَخطوطةٍ: «تاريخ الإِسلام» للشّمس الذَّهَبي رحمه الله [بخطِّ البَدر البشتكي رحمه الله، وعليها تَعليقُه]

يتناول من جهةٍ من الجهات دِرهمًا فردًا.

وحكى لنا الشّيخ أبو الحسن ابن العَطّار أنّ الشّيخ قلع ثوبه ففلاّه بعض الطَّلبة، وكان فيه قملٌ فنهاه وقال: دعه.

قلت: وكان في ملبسه مثل آحاد الفقهاء الفقراء من الحوارنة لا يُؤبَه به. عليه شبختانيّة صغيرة، ولحيته سوداء فيها شعرات بيض، وعليه هيبة وسكينة. وكان لا يتعانى لغطَ الفُقهاء وعياطهم في البحث، بل يتكلّم بتؤدة وسَمْت ووقار.

وقد رثاه غيرُ واحد يبلغون عشرين نَفْسًا بأكثر من ست مئة بيت، منهم: مجد الدِّين ابن الظَّهير، وقاضي القضاة نجم الدِّين ابن صَصْرَى، ومجد الدِّين ابن المِهْتار، وعلاء الدِّين الكِنْديّ الكاتب، والعفيف التِّلْمسانيّ الشَّاعر.

وأراد أقاربُه أن يبنوا عليه قبّةً فرأته عَمَّتُه، أو قرابةٌ له، في النَّوم فقال لها: قولي لهم لا يفعلوا هذا الذي قد عزموا عليه، فإنّهم كلّما بَنَوا شيئًا تهدَّم عليهم. فانتبهتْ منزعجةً وحدَّثتهم، وحَوَّطوا على قبره حجارةً تردّ الدَّواب.

قال أبو الحسن: وقال لي جماعة بِنَوَى أنهم سألوه يومًا أن لا ينساهم في عَرَصات القيامة، فقال لهم: إن كان لي ثَمَّ جاهٌ، والله لا دخلتُ الجنّة وأحدٌ مِمَّن أعرفه ورائي.

قلت: ولا يحتمل كتابنا أكثر مما ذكرنا من سيرة هذا السيد رحمةُ الله عليه[1] وكان مذهبه في الصِّفات السَّمْعية السُّكوت وإمرارها كما جاءت. وربّما تأوَّل قليلاً في شرح مُسلم والنووي[2] رجل أشعري العقيدة معروف بذلك يُبَدِّع من خالفه ويبالغ في التغليظ عليه[3].

---

(١) كتب تاج الدين السبكي، تلميذ المصنف، حاشية نصها: «قوله ولا يحتمل كتابنا إلى آخره، يقال له: فلم احتملَ في سيرة من لا يؤبه إليه ولا يبالغ معشار هذا الرجل من الحنابلة المتأخرين». قال بشار: هذا جزء من نقد السبكي للذهبي، وقد فصلنا القول فيه وبينا خطأه وتهور السبكي في نقده لأستاذه في كتابنا: الذهبي ومنهجه، ص ٤٥٨-٤٦٥، فراجعه تجد فائدة إن شاء الله تعالى.

(٢) هذه الفقرة كتبها المصنف بأخره.

(٣) تأتي بعد هذا ترجمة طلب المصنف تحويلها إلى سنة سبع، وأعاد الترجمة فيها، فحذفناها، وهي: «يحيى بن موسى السُّلَميُّ الزُّرعي الفقيه محيي الدين الحنبلي. روى عن ابن اللتي، وتوفي بدمشق، وحدث. وللبرزالي منه إجازة سنة سبع».

٣٣٢

صورةٌ مِن تَرجمة النّووي رحمه لله في مَطبوعةِ: «تاريخ الإِسلام» للشّمس الذَّهَبي رحمه الله [تَحقيقُ وتَعليقُ: بشّار عوّاد]


تمت بحمد الله